جامعة الحاج لخضر-باتنة 1- كلية العلوم الإسلامية

و مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر

الملتقى الوطني : ظاهرة الإلحاد المعاصر عوامل التشكل ..و سبل المواجهة

The Phenomenon of contemporary Atheism …Formation factors and confrontation methods

ط .د فاضلي إيمان – طالبة دكتوراه علوم تخصص مقارنة الأديان و حوار الأديان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–

البريد الإلكتروني :i.fadeli@univ-emir.dz

محور المداخلة (2): أسباب انتشار ظاهرة الإلحاد في الفترة المعاصرة

عنوان المداخلة : تأثير النظرية السيكولوجية لنشأة الدين على انتشار الإلحاد في الفترة المعاصرة؛ (عقدة أوديب) لسيغموند فرويد و (عقدة الأب المعيب) لبول فيتز –

ملخص : للإلحاد المعاصر أصول فلسفية و أصولية نعني بها وجهات النظر التي حاولت دراسة أصل و منشأ الدين من أجل التبرير للإزالته و إنكار وجود الإله ، و هذه كان شعارها (الدين مرض) و(الإله وهم) ، وقد كان من روادها فريديريك نتشه ، لودفيج فيورباخ ،سيغموند فرويد ، تشارلز داوكينز و بول فيتز و غيرهم ، و قد كانت النتيجة التي توصلوا إليها أن الإلحاد هو الأصل و الإيمان حادث ، و قد قامت هذه النظريات على خلق معركة وهمية بين العلم كممثل للعقل و بين الدين كممثل للجهل المقدس الحادث الذي سببته العقد النفسية و الإحتياجات المختلفة الغارقة في القدم ، و هذه النظريات عموما تناقش وجود الإله من عدمه و دوافع التدين في النفس البشرية و التعلق المرضي بالإله ، و كانت أهم هذه النظريات نظرية التحليل النفسي لسيغموند فرويد التي تقوم على تفسير منبع الدين في النفس البشرية على أساس عُقدة أوديب (عقدة قتل الأب) التي هي أصل التصور الفرويدي عن الإله و الإحتياج الطفولي له ، مؤصلا ذلك في كتابيه (مستقبل الوهم) و (قلق في الحضارة) و قد استمرت في الفترة المعاصرة بمفهوم جديد أكثر تحديدا بمسمى (فرضية الأب المعيب) التي أدت بالضرورة إلى إنكار وجود الإله و تفاقم الإلحاد في الفترة المعاصرة و التي خرج بها علينا أستاذ علم النفس الأمريكي (بول فيتز) في كتابه (سيكولوجية الإلحاد ؛ إيمان فاقد الأب) ، لذا ينتمي بحثنا هذا إلى وجهة النظر الأصولية للإلحاد المعاصر من الناحية السيكولوجية .

الكلمات المفتاحية : النظرية السيكولوجية لنشأة الدين– الإلحاد المعاصر – الأسباب النفسية للإلحاد – عقدة أوديب Oedipus Complex **– عقدة فاقد الأب** Fatherless Complex

1. مقدمة :

يدور معنى الإلحاد في اللغة العربية حول (الميل و العدول عن الأمر) لذلك قد يلحق بهذا المصطلح كل الفرق المبتدعة بكل أنواعها أي أن معناه يدور حول (كل اختلاف و ميلان عن الحق و جحود و تكذيب له رغم توفر الأدلة و الحجج)، أما الإلحاد في الأصل اليوناني المترجم إلى اللغة الإنجليزية (Atheism) فهو مصطلح عام يُستعمل لوصف (تيار فكري و فلسفي يتمركز حول فكرتين هما ؛ إما إنكار وجود خالق أعظم و قوة إلهية خارقة بمفهوم الديانات السائدة أو عدم الإيمان باستمراره في الإهتمام بالعالم بعد خلقه)، و ببساطة شديدة فإن الإلحاد يعني إنكار وُجود الله لعدم توفر الأدلة الكافية و المقنعة عقليا على وجوده ، فمنطقه أن ما لم تثبته التجربة العلمية يكون خاطئا و تافها و منقوصا من أساسه و أنه لا يؤمن إلا بالعلم و بالمنهج العلمي ، و لكن الإلحاد الجديد هو حركة فكرية قامت ضد الأديان جميعها غرضها القضاء عليها تماما أو على الأقل تشويهها في أعين المؤمنين بها و هي الأكثر انتشارا و نشاطا في العالم اليوم .

كانت بدايات نشأة الإلحاد في الغرب خلال عصر النهضة ، أين بدأت الأصوات تتعالى ضد السيطرة الكلية للدين (الإله) على الإنسان و على الحياة الإنسانية طوال العصور الوسطى ممثلا في المؤسسة الدينية (الكنسية) ، فقد زرعت تلك الدعوات و التمردات بذور الإلحاد في العقول خاصة أنها كانت متزامنة مع ظهور التفكير العلمي الذي قدّم نتائج صادقة و موثوقة بخصوص الحقائق العلمية في الطبيعة و في الكون و بخصوص الإنسان ، على خلاف الدين الذي لم يكن يعلّم إلا بالمتناقضات و الخرافات (يعني الكتاب المقدس) كما كان يرفض النقد و المراجعة رفضا قاطعا مشددا العقوبات على كل من تسول له نفسه النقد أو المراجعة على الكنيسة و رجالها و علومها و هنا وُلد الصراع بين العلم و الدين في العصر الحديث و تاريخه الحافل بالمآسي و الإغتيالات ضد العلماء و الذي كان دليلا قويا على شراسة المواجهة و الصراع بينهما في العقول قبل التاريخ المنظور ، و من بين القضايا التي كانت محل نزاع و صراع بين العلم و الدين موضوع الدين ذاته ؛ فقد رأى العلم أن الدين في حد ذاته نوع من الخرافة فتعرضت العقائد الدينية كما الكتب المقدسة و الإله ذاته للبحث و التمحيص عن أصلهم و منبعهم العقلي و المنطقي ، كما وُضعت في القرن الثامن عشر و ما بعده نظريات لتفسير نشأة الدين و التي كانت بلا شك بداية الطريق الأولى للإلحاد في الفترة الحديثة أو على الأقل ترسيخ الشك في الأديان و ما تدعيه ، و قد استهدفت هذه الحملة كل مكونات الدين الرئيسية (المعتقد–الأسطورة– الطقوس– الآخرة) و كذا الثانوية (الشعائر– السير المقدسة – الروحانيات–الأخلاق) ، و تلتها فترة اعتقد فيها علماء التنوير و الحداثة بل جزموا أن المعتقدات الدينية في الأديان ليست إلا محاولات خاطئة لتفسير بعض الظواهر التي عاشها و يعيشها الإنسان و لم يجد لها تفسيرا واضحا مثل الأحلام ، الأمراض، الموت ، قوة الطبيعة و جبروتها ، و من هذا الأساس أيضا وُلدت الأساطير التي هي أصل العقائد و الأخلاق و القوانين التي تبني و تنظم المجتمعات ، و كانت نتائج هذه النظريات كلها إلحادا و رفضا

لوجود إله أو مصدر غيبي للدين لأنه ببساطة لا يوجد دليل علمي على وُجودها أو إمكانية التأكد من وجودها ، وقد اتخذت هذه النظريات شكلا و ثوبا علميا و موضوعيا حتى تلائم العقول و التفكير المنطقي ، و من بين تلك النظريات: النظرية التفسيرية الأنثروبولوجية (تايلور و فريزر) ، النظرية الإجتماعية (ماكس فيبر) و النظرية التحليلية النفسية (سيغموند فرويد) ؛ و هذه الأخيرة تعود ببدايات الدين إلى طفولة البشرية و إلى الفترة البدائية للعقل الإنساني ، أي أنها نظرية تطورية تؤمن بالتطور من الأدنى و البدائي إلى الأسمى و المتطور ، و سنحاول في هذه المداخلة التعرف على هذه النظرية و كيف كانت سببا قويا في الإلحاد المعاصر و ذلك بالإجابة عن تساؤل رئيس هو : كيف نظَّر (سيغموند فرويد) للإلحاد المعاصر دون أن يُصرح به ؟ أو بتعبير آخر : كيف ساهمت النظرية النفسية التحليلية لتفسير ماهية الدين و منبعه في النفس في نشر الإلحاد خلال الفترة المعاصرة ؟ ،و قد قسمنا هذا التساؤل إلى أسئلة فرعية هي :

- ماذا قال سيغموند فرويد في كتابه (**مستقبل الوهم**) عن الدين و منبعه ؟
- و ماذا قال في كتابه الأخير (**قلق في الحضارة**) عن وظيفة الدين في الحياة و إمكانية تعويضه بغيره ؟
- ما هي نتائج هذه النظرية و تأثيرها على التبرير للإلحاد في الفترة المعاصرة من خلال كتاب (**نفسية الإلحاد**) لبول فيتز و ما الجديد الذي قدمه فيه ؟ .

2. (الدين وهما) نظرية سيغموند فرويد حول نشأة الدين و نتائجها :

لقد كان فرويد رافضا تماما للإعتقاد الديني و كان يرى أن الدين مرض نفسي عقلي يسمى (الوهم) و أن التدين و الإيمان بالإله مرض نفسي له جذور عميقة تعود إلى طفولة البشرية مغروس في لاشعورها ؛ و فسره على أنه تعبير عن رغبات و احتياجات طفولية إلى الحامي و المنقذ الذي كان يمثله (الأب) و لهذا يُعتبر الإله في المسيحية–التي عمل على نقدها في كل أبحاثه– و في الكثير من الديانات (أبا سماويا) و يُخاطب في الصلوات بعبارة (أبانا الذي في السماوات) فالأب السماوي لبّى الرغبة المكبوتة إلى الأب الأرضي و كان تعويضا عنه ، و لقد أخبرنا مؤلف سيرته و تلميذه الذي كان على معرفة وثيقة به " أنه عاش حياته من بدايتها إلى نهايتها ملحدا طبيعيا إذ لم يجد فرويد سببا منطقيا للإيمان بالإله و لذا لم ير في طقوس الحياة الدينية قيمة أو غرضا يُذكر "[1] و قد كان مدخل فرويد لدراسة الدين –كغيره من علماء الإجتماع و الإنسانيات– يقف على النقيض تماما من مدخل المتدينين ؛ فبينما يفترض هؤلاء صحة ما يؤمنون به و صدقه لأن الإله حدثهم به عن طريق الكتب المقدسة أو عن طريق الإلقاء في الروع (الوحي) أو لأن مؤسستهم الدينية أمرتهم به ؛كان التنويريون في المقابل و فرويد معهم يرون أن " الأفكار الدينية ليست من إله و لا آلهة لأن الآلهة غير موجودة ،كما أن هذه المعتقدات لا تصدر عن نوع من التفكير السليم عن العالم الذي عادة ما يفضي بنا للحقيقة و مثله مثل تايلر و فريزر

[1] دانيال بالز : الدين و الشخصية :سيغموند فرويد ، ترجمة :محمد محمود ، مجلة العقلاني 2 ، عدد2 يناير 2015 ، ص 92

موقن أن المعتقدات الدينية خاطئة و أنها خرافات ، إلا أنه لاحظ أنها خرافات تستحق الإنتباه لأنها تثير أسئلة هامة عن الطبيعة البشرية و أهمها : لماذا تتمسك هذه الأعداد الكبيرة جدا من البشر بهذه المعتقدات و بهذه القوة طالما أنها معتقدات واضحة البطلان ؟ و طالما أن الدين غير عقلاني فكيف يكتسبه الناس ؟ و لماذا يحافظون عليه ؟ "[1] ، و يرى سيغموند فرويد من وجهة نظره و من خلال نظريته في التحليل النفسي التي طبقها على الدين و من خلال سلسلة كتاباته و أبحاثه أن (الدين لا وجود له في الحقيقة بل هو من صنع العقل البدائي الأسطوري للإنسان ، و التدين هو تعبير بدائي عن الإحتياجات و الرغبات المكبوتة في لاشعور الفرد منذ طفولته و في طفولة البشرية كلها (المراحلة البدائية لأنه يؤمن بالتطور من الأدنى إلى الأسمى) بداية بكتابه (الطوطم و التابو) ثم (مستقبل الوهم) ثم (موسى و التوحيد) و آخرها (قلق في الحضارة) الذي صرّح فيه برفضه التام للدين و لتواجده في المجتمعات الحديثة و المعاصرة ،كما تنبأ فيه بأن آراءه سوف تجد لها آذانا صاغية و تطبق في المجتمعات المعاصرة و هذا ما حدث فعلا اليوم إذ أصبح الحديث عن الدين دليلا على التخلف الحضاري و العقلي أيضا .

- في كتابه (**الطوطم و التابو**) شرح فرويد علاقة (أسطورة قتل الأب) التي أخذها من أبحاث جيمس فريزر عن القبائل البدائية و خلاصتها أن أب القبيلة أو الذكر الأقوى في القبيلة قد اجتمع الأبناء و أجمعوا على قتله و التخلص من سيطرته فأكلوا جسده و شربوا دمه ، لكن استحوذ عليهم الشعور بالذنب و الأسى لاحقا فعوضوه بتمجيده و تقديسه ثم عبادته وإعادة إحياء ذكرى قتله بطقوس تشبه حادثة القتل الأولى (العشاء المقدس) ، و قد أدى هذا التمجيد لاحقا في القبيلة و تحول إلى عبادة فعلية بكل أجزائها ؛ فأصبح الأب يعوض ب **الطوطم** كرمز للقبيلة ثم عبادته كإله ؛ فالأب هو أصل فكرة الإله الذي يسكن السماء (الأب السماوي) و هو يقوم بذات المهام التي كان يقوم بها الأب الأرضي ، و ما نتج عن ذلك التمجيد من تابوهات و محرمات تتعلق في الأصل بالأب (النساء= الجنس، و الدم = القتل)و هي ذاتها الأوامر و النواهي و العواقب التي ألزم أفراد القبيلة أنفسهم بها لتعلقها المباشر بالطوطم (الأب المقتول) ليصل فرويد إلى نتيجة مفادها (أن الإله هو الشكل اللاشعوري البدائي للأب في القبيلة و في طفولة البشرية كلها) و هذا ما أطلق عليه (عقدة قتل الأب أو عقدة أوديب) المعبرة عن الأب المسيطر و الحاضر في القبيلة حتى في غيابه (بعد قتله) و هي صورته في الوقت الحاضر مع الإله يقول :" إننا نهتدي في عقدة أوديب إلى بدايات الدين و الأخلاق و الفن معا ، و هذا بالتوافق التام مع معطيات التحليل النفسي الذي يرى في هذه العقدة نواة الأعصبة كافة و ذلك بقدر ما أتيح لنا أن ننفذ إلى طبيعتها فليس من المدهش أن تكون حتى هذه المشكلات المتعلقة بالحياة النفسية للشعوب قابلة للحل انطلاقا من نقطة

[1] دانيال بالز : المرجع نفسه ، ص 93

واحدة و هي الموقف إزاء الأب " [1] و مجموع هذه العناصر (المعتقد –الأسطورة و الطقس و الآخرة) كونت ما يسمى (الدين) الذي يعني في الأصل الإذعان و التابعية لشئ أعلى و أقوى ، إذن ، أقر فرويد في كتابه (الطوطم و التابو) و بناءا على أبحاث الأنثروبولوجيين الذين عاصرهم أن أصل الطوطم هو أب القبيلة الفعلي و هو بدوره أصل الإعتقاد في الأب السماوي (الإله) ، و هذه النتائج طبعا فيها أخذ و رد .

- **(مستقبل الوهم– 1927)** وصل في كتاب **(مستقبل الوهم)** و بناء على ما سبق إلى نظرية جديدة مفادها أن الدين في حد ذاته و انطلاقا من المبدأ العقلاني الذي يتبعه هو مجرد مرض عقلي عُصابي يسمى (الوهم **illusion**) الذي استحوذ على العقول البدائية ليستمر في لاوعي الإنسان القديم و الحديث ، و لكن لن يكون له مستقبل في قادم الأيام مع الإنسان المعاصر إذ سيزول الإيمان به بسبب تطور العلم و المعارف الحديثة و ستصير السيطرة للعقل و المنطق على حساب الأساطير و الخيال و الأوهام ، أما عن إنتشاره و استمراره بين الجماعات البشرية فقد اعتبره فرويد مرضا نفسيا جمعيا آخر يسمى (الوسواس الجمعي القهري) أو (العُصاب الإستحواذي الكلي) ؛ إذ يرى (سيغموند فرويد) أن الأفكار الدينية في تكوينها النفسي ليست خلاصة للتجربة و لا للتفكير العقلي لذلك فهي ليست حقيقية يقول :" حين نوجه أنظارنا نحو التكوين النفسي للأفكار الدينية التي تطرح نفسها على أنها معتقدات ليست خلاصة التجربة أو النتيجة النهائية للتأمل و التفكير و إنما هي توهمات ، تحقيق لأقدم رغبات البشرية و أقواها و أشدها إلحاحا و سر قوتها هو قوة هذه الرغبات "[2] فالتوهم هو كل اعتقاد تكون الغلبة في حوافزه و معللاته لتحقيق رغبة من الرغبات مع عدم اعتبار علاقة هذا الإعتقاد بالواقع كما لا نجد في الواقع توكيدا لذلك التوهم ، و لذلك فالمذاهب الدينية كلها أوهام بالنسبة لفرويد إذ يقول :" إن المذاهب الدينية جميعها أوهام لا سبيل إلى إقامة البرهان عليها و لا يمكن أن يرغم أي إنسان على أن يعدها صحيحة و على أن يؤمن بها و بعض هذه المذاهب بعيدة الإحتمال و صعبة التصديق للغاية و متناقضة أشد التناقض مع كل ما تعلمناه ببالغ المشقة عن واقع العالم و الكون لدرجة نستطيع أن نشبهها بالأفكار الهاذية " [3] ، فالتدين و السلوك الديني للمؤمنين يشبه كثيرا سيكولوجية المرضى بالوسواس القهري لاشتراكهما في الحرص الشديد على النظام و تكرار الممارسات بدقة متناهية و الخوف الكبير من الخطأ ، و لذا فإن أكثر المفاهيم مواءمة لتفسير التدين هي مفاهيم التحليل النفسي و أهمها (عقدة أوديب) التي هي منبع الشعور الديني كله (التدين) ، فقد أقر في كتابه هذا –كما رأينا –أن المعتقدات الدينية ليست إلا أوهاما ، و هي تحقيق لأقدم الرغبات البشرية و أشدها إلحاحا في نظره و هي الحاجة للحماية من الشر بأشكاله ، و هو شعور يشبه حاجة الطفل الصغير إلى أبيه الحامي و المنقذ و مثالها الحاجة الطفولية للحامي إذ

---

[1] سيغموند فرويد : الطوطم و التابو ، ترجمة جورج طرابيشي ، ط1 (دار مدارك للنشر ، بيروت ، 2015) ، ص 198

[2] سيغموند فرويد : مستقبل الوهم ، ص 41

[3] فرويد : مستقبل الوهم ، المرجع السابق ، ص 43

أقرت كل النظريات العلمية لنشأة الدين أن سببه الأول هو الخوف و التوجس التي لباها الأب السماوي (الإله) الذي ليس إلا (الأب المقتول) في أسطورة الأب المقتول لجيمس فريزر يقول :" الشعور بالخوف المرتبط بالضائقة الطفولية هو ما أيقظ الحاجة إلى الحماية و هي الحاجة التي لباها الأب ، و إدراك الإنسان أن هذه الضائقة تدوم الحياة كلها هو ما جعله يتشبث بوجود أب أعظم قوة و أشد بأسا هذه المرة فالقلق الإنساني إزاء أخطار الحياة يسكن و يهدأ لدى التفكير بالسلطان الرفيق و العطوف للعناية الإلهية " العناية التي يرفضها التفكير الإلحادي تماما ،كما أن عبادة الطوطم و ما نتج عنها من تحريمات (تابوهات) كانت منبع النظام الأخلاقي في الدين ؛ فالدين هو منبع العزاءات من مشاعر الخوف و الألم التي يعيشها الإنسان في هذا الكون بتوفيره للسند و المعتمد (الأب السماوي = الإله) أي أنه تعويض عن الفقدان فقدان الأب الأرضي مما جعل الإنسان يفكر في خلق (أب سماوي) الفكرة التي سيستمر الإعتقاد فيها في الفترة المعاصرة مع تبريرات جديدة و إضافات مع (بول فيتز) كما سنرى لاحقا ، و كذا كونه منبع النظام و الحدود التي تضمن العدالة و النظام في الجماعة من خلال مجموعة (التابوهات = المحرمات و المقدسات) ، لذلك يرى فرويد في كتابه (مستقبل الوهم) أن الدين بمكوناته لن يكون له وجود و لا حاجة في الأزمنة الحاضرة و المستقبلة لأنه ببساطة ليس إلا وهما و عودة طُفولية ساذجة إلى (الطوطمية) لذلك و بواسطة العلم و المعرفة الحديثة سيتمكن الانسان من التحرر من هذا الوهم الذي يعود إلى ضعف الإنسان و تبعيته الأصلية للأب و في رغباته المكبوتة لتلبية حاجاته الطفولية و التي تتجلى كلها بصورة إله ، و قد تعلمنا من خلال التعلق بالله و حبه و الخوف منه تعلمنا التخلص من مشاعرنا الموحشة و المخيفة ،كما أن الاخلاق الدينية هي مجموعة الأوامر و النواهي التي يجب الإذعان لها و عدم اختراقها للحفاظ على هدوء الإله و إسعاده لذا فإن التبعية و الخضوع في مرحلة الطفولة للأب تنتقل إلى حياة الكبار و تحل محلها علاقة الفرد و الجماعة بالإله ، و بما ان كل هذه الرغبات غير متلائمة مع الواقع المعاصر فإن فرويد يرى أنها شكل من أشكال الهذيان الجمعي (الوهم) التي يسهل جدا التخلص منها بمجرد ادراك طبيعتها و ماهيتها و بالتالي سيتحول التدين الى الالحاد الحاد (الرفض التام لوجود سلطة ابوية و هذا ما ظهر في مختلف الحركات الثورية و التمردات ضد السلطة الدينية خاصة الكنيسة) و قد فصل القمص حلمي يعقوب في كتابه (رحلة في قلب الالحاد) بذور الالحاد الاولى من وجهة النظر المسيحية في ستة نقاط هي[1] : الصراع البروتيستنتي الكاثوليكي ، نظرية التطور و البقاء للأصلح ، الظلم و الطغيان ، شهوة الكبرياء و الكوارث و الحروب و العقاب الأبدي و بين المسيحية و الشيوعية كما أشار إل ذلك و فصل فيه الدكتور رمسيس عوض في كتابه (الإلحاد في الغرب)[2] إذ أشار إلى أن الإلحاد المعاصر تم التمهيد له منذ القرنين السادس عشر و السابع عشر إلى غاية القرن التاسع عشر ، و قد كتب ريتشارد داوكينز كتابا شهيرا على شاكلة هذا الكتاب سماه (وهم الإله **The God Delusion**

---

[1] حلمي يعقوب : رحلة إلى قلب الإلحاد ، ج1 ، الباب 1 : بذار الإلحاد ، ص

[2] رمسيس عوض : الالحاد في الغرب ، ط1 (مؤسسة النتشار العربي ،بيروت ،لبنان ، 1997)

.) كان واضحا جدا فيه رفضه للإيمان بوجود الإله تماما بل يعد هذا الكتاب دستور لما يسمى اليوم الإلحاد الجديد "فاللحدون الجدد يقولون أن الدين طالما كان أحد الأسباب الرئيسية للمعاناة البشرية و العنف و الترويج للتطرف ،كما أن العقلية الدينية تعيق التفكير العقلاني بالعالم و تقف في وجه حل المشكلات البشرية ..كما أن المتدينين المؤمنين غارقون بتناقضات إما تستخف بالعقل أو تكون مهينة للمفاهيم الأخلاقية " [1] ، أي أن ما يؤاخذ عليه هؤلاء الدين استقر و اقتصر حاليا على (مشكلة الشر) حيث كان الدين سببا رئيسيا في الألم و المعاناة و الموت في حياة الفرد و الجماعات و كما يقول بعض الباحثين لم يبق من صخرة الإلحاد هذه (مشكلة الشر) إلا الإعتقاد في عبثية وجود الشر في العالم إذ استطاعت الأديان الرد على كل النقاط المتعلقة بها .

- **(قلق في الحضارة 1929)** ربط فيه بين المعتقدات الدينية و وظيفتها في بناء الحضارة ، و ذلك باعتبار أن الدين وفر هيكلا تنظيميا للمجتمعات التي وُجد فيها حيث كان مصدرا للضوابط التي حكمت المجتمعات ؛ فاعتبر الأخلاق الدينية –التي هي مجموعة الأوامر و النواهي التي يجب الإذعان لها و عدم اختراقها– دستورا لحفظ النظام داخل الجماعة و المجتمع إذ أن النظام الأخلاقي الذي أساسه الدين ضَمن ولادة الحضارات السابقة بما مثله من (عقد إجتماعي بين الأفراد) ، و بالتالي يمكن في الفترة المعاصرة إبداع و إنتاج أنظمة وضعية تنوب عن الأنظمة الدينية و تكون أكثر احتراما لعقل الإنسان و مراعاة لرغباته و احتياجاته للعيش و إنتاج حضارة بواسطة إعطاء الإنسان و العقل و العلم و إعطاء المعرفة العلمية السلطة على الحياة الإنسانية كلها بحكم أنها أثبتت نجاعتها و صلاحيتها في خدمة الإنسان و تطوير حياته للأفضل على عكس ما يدعيه الدين و لا يتحقق في الواقع و هذا ما عملت عليه العلوم الإنسانية منذ القرن 19م و خاصة علم الإجتماع و المنهج الوضعي مع رائده أوغست كونت ؛ يقول فرويد في (مستقبل الوهم) :" نحن نعتقد بأنه في مقدور العمل العلمي أن يعلمنا شيئا ما عن واقع الكون و بأننا سنزيد بذلك من قوتنا و سنتمكن بالتالي من تنظيم حياتنا تنظيما أفضل و لو كان هذا الإعتقاد وهما من الأوهام لما كان وضعنا ليكون مختلفا في هذه الحال عن وضع المتدينين ، و لكن العلم قدّم لنا البرهان بالنجاحات الكثيرة و المهمة التي حققها على أنه ليس وهما " [2] ، و لذلك يمكن تماما تعويض الوظائف النفسية للدين[3] في حياة الفرد و الجماعة بمصادر أخرى حقيقية و واقعية أهمها العلم طبعا و هذا ما قدمته المناهج الوضعية للعلوم الإجتماعية التي تدرس بنية المجتمع و تكوينه و سبل تماسكه و تحضره و أسرار إنتاج أفراد تسيطر عليهم (الأنا) مما سينهض بالحضارات دون حاجة لمؤسسات الردع و العقاب داخل المجتمع لمؤسسات الردع و العقاب التي تتوفر عليها المجتمعات الحديثة من أجل الحفاظ على التماسك و النظام داخل المجتمعات .

---

[1] أمارناث امارسينغام : الدين و إلحاد العصر ، ترجمة : شيرين حداد ،ط1 (شركة المطبوعات للتوزيع و النشر – بيروت –لبنان -2019) ، ص 69

[2] سيغموند فرويد : مستقبل الوهم ، مرجع سابق ، ص 81 -82

[3] محمد عبد الفتاح المهدي : سيكولوجية الدين و التدين ، ص 28

3. تأثير هذه النتائج على ظهور و تبرير الإلحاد المعاصر :

كان فرويد من رواد الإنسانوية(**Humanism**)[1] و هو التيار الذي حاول تغيير الرؤى الدينية السلطوية الإحتقارية تجاه الإنسان ليصل به إلى التأليه (تأليه الإنسان إما فلسفيا أو فعليا) الأمر الذي منعته الأديان التأليهية كلها من الوصول إليه أو حتى التفكير فيه ، و قد أرادت الهيومانية أن تحل بديلا عن الدين –خاصة المسيحية– فقد رأت أن الدين سيطر على الجنس البشري لآلاف السنين بالترهيب و التخويف و التهديد بالإنتقام و الموت و كذا بما قدّمه للإنسان و حياته من نظام متكامل لتسييرها بالأخلاق و القانون و العقائد و غيرها من الوظائف التي لا ينكرها أحد على الدين و التي لا يقوم بها غيره ، و لكنه في المقابل عمل على احتقار الإنسان و إذلاله ليُعلي من شأن الإله (أو الآلهة) ، فقد جاء في تعريف الهيومانية الإلحادية مايلي :" إن الإنسانوية الإلحادية التي تحمل أكثر الآراء المخالفة للدين عدائية و لا سيما بعد القرن التاسع عشر تذهب إلى الإعتقاد بأن الإنسانوية يجب أن تكون –بما تعتقده في مركزية الإنسان في الوجود– بديلا عن محورية الله في الأفكار الدينية(الدين) ، و في الحقيقة تذهب الإنسانوية الإلحادية إلى الإعتقاد بوجوب أن تظهر بعض المدارس و المذاهب لتملأ الفراغ الذي خلّفه غياب الله و الخيار الأفضل في هذا الشأن هو (الإنسان) و الأفكار الإنسانوية التي ترى أن الإنسان في هذه المدارس وُجود أصيل ، في حين يُعد وجود الله من الإعتبارات الذهنية و أنه من صُنع و اختلاق الذهن ، و للتخلص من الوجودات الذهنية يجب التوجه إلى الأمور المحسوسة و الملموسة و القابلة للمشاهدة و الإثبات ..و أهم فلاسفة هذا الإتجاه (أوغست كانت) ،(لودفيغ فيورباخ) و(فريديريك نتشه) "[2] ؛ فكل اتجاه فكري لا يعترف بوجود الإله الغيبي و لا يرى حاجة من وجود الدين و الإله و يعتقد أن الإنسان هو واضع الدين بشكل من الأشكال فهو مذهب أو دين إنسانوي مادي يرتبط أكثر بالعالم المادي و لا يؤمن بأي شيء ماورائي و يرى أنه خرُافة و غير منطقي و إهدار للوقت و الجهد ، و قد كان سيغموند فرويد محاربا للدين المسيحي متأثرا بمن سبقوه من الفلاسفة و الملحدين ذوو الخلفية المسيحية و خاصة (لودفيغ فيورباخ 1804–1872) إذ يكاد يكرر أقواله ذاتها من كتابه (جوهر المسيحية) و آراؤه حول الدين و اتجاه فيورباخ للإلحاد في كتاباته معروف في الساحة العلمية فيما يُعرف بتأنيس مطلق هيجل أو دعوته لأنسنة الدين ؛ فهو يرى أن " العقل الديني الذي يبلغ أقصى حالات الوعي بذاته ينبغي أن يكون ملحدا فالإنسان هو لنفسه الإله الحقيقي الوحيد ، و ما إن ينفذ إلى دلالة الدين الحقيقية حتى يستطيع الإستغناء عن الإله أو عن الروح المطلق و يكرس نفسه لتحقيق إمكانيات وجوده الجوهري الخاص "[3] ، و كذا (فريديريك نتشه1844

---

[1] رمسيس عوض : ملحدون محدثون و معاصرون ، ط1(مؤسسة الإنتشار العربي – بيروت –لبنان– 1998)، ص 113– 154

[2] محمد هادي طلعتي : الهيومانية ؛دراسة تحليلية نقدية للأسس و الجذور ،تعريب : حسن علي مطر ،، سلسلة مصطلحات معاصرة (43)، ط1 (النجف –العراق –المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية – 2022) ، ص251

[3] جيمس كولينز : الله في الفلسفة الغربية ، ترجمة : فؤاد كامل ،د ط (مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر – القاهرة – 1973)، ص 339

-1900) من كتابه (هكذا تكلم زرادشت)و (بعيدا عن الخير و الشر) الذي بشّر فيه بموت الإله لسبب الأخلاق و المعايير "فموت الإله معناه الإغتيال العمدي لفكرة الإله و سقوط نظام المعايير و السلوك القائم على التسليم بتلك الفكرة ، و الأشخاص الذين لم يعودوا يؤمنون بها هم قتلة الإله و عليهم تقع المسؤولية الشخصية عن هذه الفعلة و عواقبها على حضارتنا "[1] ، حتى أن سيغموند فرويد بنى فرضيته التي سماها (عقدة أوديب) على مفهوم الأبوة الإلهية عند المسيحيين فكان عمل فرويد -الذي تتبعنا مساره سابقا- محاولة لتفسير وجود الدين و المعتقدات الدينية و ممارسة التدين سيكولوجيا قاصدا إلى تبديد هذا الوهم من حياة البشر ؛ حيث دعا إلى ترك الدين و التدين و إنكار وجود الإله و ادعى أنهما من إنتاج الفكر البشري عبر القرون مبحرا في أعماق النفس البشرية و تاريخها الطويل لإثبات هذا الإدعاء ، و قد خص المسيحيين بالذات بهذا الخطاب ، أي أنه دعا إلى الإلحاد الحاد بعد أن حاول إثبات أن التدين ليس إلا نتيجة حتمية (لعقدة أوديب النفسية) التي تنشأ نتيجة الصراع الداخلي بين الرغبة في وجود الأب (الإله الحامي المحب) و الرغبة المقابلة في التخلص منه و من سلطته الأبوية ، و بالتالي يمكن استعمال (عقدة أوديب) كأصل للرغبات المكبوتة في إنكار وجود الإله من الأساس أيضا (الإلحاد) و هذا ما توصل إليه بول فيتز -كما سنرى لاحقا -، و هذا ما أقره فرويد نفسه في مقالته حول شخصية ليوناردو دافينشي حيث قال أن :" التحليل النفسي الذي تعلمنا من خلاله الرابط الوثيق ما بين عقدة الأب و الإيمان بالإله أظهر لنا أن الإله المتمثل بشخصية ، هو منطقيا ليس إلا أبا ممجدا ، و يتضح لنا يوميا بفقد الشباب إيمانهم الديني بمجرد أن تنهار سلطة الأب " أي أنه يعتقد أن وجود الأب في الحياة المبكّرة للفرد كان سببا رئيسيا في الإيمان و الإعتقاد بوجود إله سماوي (صورة متعالية للأب)، و بالتالي سيكون فقدان الأب في الحياة المبكرة للفرد سببا قويا في إلحاده أيضا و إنكاره لوجود الإله ، و لكن هل هذا يعني أنه من الممكن أن تنشأ أجيال خالية من الإيمان بالله تماما بسبب تغير الظروف النفسية و الحياتية لديهم ؟ ، و قد طرح أحد الباحثين المعاصرين المتخصصين في الإلحاد المعاصر في إطار حديثه عن خرافة الهيومانية تساؤلا مفاده :" هل من الممكن إنتاج جيل من البشر ملحدٌ إلحادا كاملا ؟ "[2] أي هل يمكن تخليص هؤلاء الناس جميعهم من كل متعلقات الدين و التدين و أولاها الإيمان بالإله ثم تعويض ما يقدمه الدين للإنسان و المجتمع من فوائد و ما يقوم به من وظائف بما يساويها بوسائل أخرى وضعية ،كما ركز الباحث أيضا على فكرة أن الدين كان مصدرا للأخلاق و مرجعية لها داخل المجتمعات و رادعا للفرد من تحقيق الفرد لكل رغائبه ، و لهذا طرح تساؤلا آخر عن إمكانية إيجاد تصور معرفي للقيمة و الأخلاق من منظور مادي إلحادي مجرد بناء على رؤية الملحدين أنفسهم (منظور إنساني) ؟ ، و لكنه يعود و يؤكد كما غيره من الباحثين أنهم و في طريقهم لتكريس مركزية الإنسان في الكون ألغى الهيومانيون هذه المركزية لصالح الطبيعة المادية ذات القوانين الحتمية و بهذا -و حسب وصف الدكتور عبد

[1] المرجع نفسه ، ص 369

[2] هيثم علي طلعت سرور : كهنة الإلحاد الجديد ، ص 20 (http://laelhad.com)

الوهاب المسيري- يُصفّى الإنسان لحساب الطبيعة و يصبح جزءا منها و سيتم استيعابه تماما فيها و يسقط في هيمنة المادية الحتمية و يصبح أي حديث عن الإنسان المقدس أو قيمته أو مركزيته هو حديث (ملوث ميتافيزيقيا)، و يتحول الإنسان إلى حيوان مادي مجرد و يعود للصراع الداروينى من جديد (البقاء للأقوى و الأصلح) و تقتصر حياته على الركض بين المصنع و المتجر و أماكن اللهو حتى لا يجدُ وقتا لتنمية جانبه الروحي و التسامي به .

و رغم أن نظريات فرويد لم تلق رواجا في تلك الفترة -إذ واجهت إنتقادات لاذعة حتى من تلاميذه المباشرين و أهمهم (كارل يونغ) و المعاصرين له مثل الأب (فيلهيلم شميدث) و لعدة أسباب أغلبها متعلق بالمنهج التعميمي أو الإسقاطي الذي مارسه لصياغة آرائه التي تدور كلها حول (عقدة أوديب)- إلا أننا نجد أن نظرياته لقيت آذانا صاغية خفية منذ ظهورها إذ تسللت أفكاره رويدا رويدا إلى النفوس و العقول مع الزمن مع غيرها من الأفكار الإلحادية التي شهدها القرن التاسع عشر لتفسد كل ما استطاعت إفساده بداية بالدين ثم الأخلاق و المعايير ذات المرجعيات الدينية ،كما أنها بررت للكفر و الإلحاد و الإنحلال و ذلك بعد تمكنها من قطع الصلة بالعلي العظيم (الغيب و الميتافيزيقا) و ربط الإيمان بالأوهام و الأمراض النفسية و العقد العصابية الموروثة في اللاشعور الإنساني و من الرغبات المكبوتة غير المتحققة ، و كانت آراؤه هذه بداية الأبحاث السيكولوجية في المعتقدات الدينية رغم اعتماده على الكثير من آراء من سبقوه من العلماء و الفلاسفة و الأطباء أيضا أمثال (أوغست كونت) حول المنهج الوضعي و إمكان استبدال كل نظام سماوي بنظام وضعي مقابل و أكثر فعالية و احتراما للإنسان في المجتمع ، و (فريديريك نتشه) و فكرته حول موت الإله و المعايير و المرجعيات و كل الثوابت ، و (لودفيغ فيورباخ) و مساعيه الإلحادية لأنسنة الدين و تأليه الإنسان ثم آراء (كارل ماركس) حول كون الدين أفيون الشعوب و مخدّرها الذي اخترعه الإغنياء لاستعباد الفقراء و وعدهم بالنعيم في الحياة بعد الموت حتى يرضوا بأقدارهم و لا يسعوا لتغييرها و تقديمه بديلا عنه في الشيوعية ، و قد نشرت أفكاره و أفكار كل من عاصروه من العلماء المتخصصين في شتى مجالات المعرفة الإحساس المتزايد بضرورة الإنفصال عن الغيب و الميتافيزيقا و الإرتباط أكثر بالعالم المادي الملموس من أجل حياة أفضل للإنسان ؛ فالفكر المادي أنتج حضارة مادية أسهمت كثيرا في ولادة الإلحاد المعاصر بكل أشكاله ؛ و لم يكن علم النفس بمعزل عن هذه التطورات إذ أصبح هو الآخر علما عقلانيا و تجريبيا محوره الإنسان في الحياة الدنيا (الواقع) متتبعا المنهج العلمي ، في حين أن محور الدين هو الإنسان في سعيه إلى الله بتتبع المنهج الإيماني ، و قد أشارت الأبحاث العلمية إلى تأثير المدارس النفسية على صورة الدين السلبية في المجتمعات الغربية خاصة رغم ان المدارس النفسية اللاحقة حاولت ان تعيد للدين صورته الإيجابية خاصة باعتباره منبعا للأخلاق و العزاء الروحي للإنسان ، فحسب صاحب كتاب (سيكولوجية الدين و التدين) يقول :" لقد تحول هذا التنافس (بين العلم و الدين) إلى صراع حين أعطت المدرسة التحليلية و المدرسة السلوكية صورة سلبية للدين فوصفاه بأنه وهم و أفيون الشعوب ، و خداع و عُصاب جماعي و وسواس قهري و تفكير غير منطقي و اضطراب إنفعالي و قالوا أن الأشخاص المتدينين يتسمون بالتقليدية و المسايرة و الجمود و

التعصب و التسلطية و التشكك و التشاؤم و الإنطواء و الإحساس بعدم الأمان و الخضوع و القلق و القمع و الإعتمادية (الإتكالية) و التزمتية و التطرف ..و قد وُوجه هذا التيار المعادي للدين برد فعل مساوٍ من علماء الدين فوصفوا علماء النفس بالزندقة و الهرطقة و شكّكوا في جدوى علم النفس و في كونه علما من الأساس و حذروا الناس من تأثيره الخطر على المعتقدات الدينية " [1] و هذا يؤكد لنا من جديد التأثير القوي للنظرية التحليلية على مكانة الدين عند الإنسان المعاصر و مجتمعه و تسهيلها لفكرة التخلص منه و استبعاده من الحياة العامة للبشر لتحل محله المادية و الوضعانية الإنسانوية .

عادت نظرية فرويد السيكولوجية في الفترة المعاصرة في ثوب جديد و تأكيد آخر على أهمية التعلق الوالدي للطفل في مراحل تطوره النفسية الأولى و مختصر النظرية أن وجود الأب و التعلق به في حياة الطفل الأولى ضروري ليؤمن بالإله أو لا يؤمن ، و ذلك مع العالم الأمريكي أستاذ علم النفس (بول فيتز **Paul Vitz**) فيما سماه (نظرية إيمان فاقد الأب **Faith of the Fatherless**) التي حاول بها تفسير أو تبرير الإلحاد المعاصر و تصدره الحياة في الفترة المعاصرة و في المجتمعات الحديثة الغربية على الخصوص، أين أصبح الإعلان عن الإلحاد و رفض الغيب و الإله أسهل بكثير من القول بالإيمان بوجود غيبي متجاوز ، و لكن مع اختلاف ملحوظ مع فرويد و نظريته إذ خصص هذا الارتباط بين الإلحاد و علاقة الطفل المبكرة بأبيه بنوعية الأب المقصود ؛ حيث يرى أن غياب الأب صوريا أو فعليا يؤدي إلى الإحاد (أي إنكار وجود الإله) ، متتبعا منهج فرويد أي المنهج الإسقاطي درس (فيتز) سيكولوجية العديد من الشخصيات المعاصرة التي جاهرت بالإلحاد في الفترة المعاصرة مبررا هذا في مقدمة كتابه بقوله :" لماذا ينبغي للمرء دراسة نفسية الملحدين بأي حال من الأحوال ؟ هل هناك أي سبب من الأسباب للإعتقاد بوجود أنماط نفسية متينة في حياتهم (أدت إلى إلحادهم) ؟ في الواقع هناك أصل نفسي متماسك للإلحاد ..و هناك بالتأكيد سبب بديهي لتوقع الإتساق في سيكولوجيا غير المؤمنين " [2] أي أنه يُقر بوجود أصل و جذر نفسي للإلحاد عند الملحد كما أن للإيمان أصل نفسي عند المؤمن و كلا النسقين متعلقان بالأب ، ثم يضيف قائلا :" يجب أن نتذكر أن الملحدين أنفسهم هم الذين بدؤوا بالإقتراب السيكولوجي من مسألة الإيمان حيث يشتهر كثير من الملحدين في الواقع بجدالهم حول معاناة المؤمنين من الأوهام ، و من الإحتياجات غير الواعية و الطفولية لديهم ، و من نواقض نفسية أخرى و قد غلب على موقف الملحدين التفسير العدواني للإعتقاد الديني و اعتباره ناشئا من عوامل نفسية و ليس من طبيعة الواقع "[3] ، و هنا يشير أيضا إلى صفة مشتركة بين جميع الملحدين و هي (عدوانيتهم الواضحة و الشرسة تجاه الدين) الأمر الذي يؤكد أن منشأ الإلحاد لديهم نفسي قد يكون الغضب أو

---

[1] محمد عبد الفتاح المهدي : سيكولوجية الدين و التدين ، سلسلة الدراسات التربوية و النفسية ،ط1 (مطبعة فجر الاسلام الاسكندرية – الناشر البيطاش سنتر للنشر و التوزيع ، 2002) ، ص 27

[2] بول فيتز : نفسية الإلحاد ؛ إيمان فاقد الأب ، ترجمة : مركز دلائل ،ط2 (دار وقف دلائل للنشر – الرياض – المملكة السعودية – 2013) ، ص 23

[3] فيتز : المرجع نفسه ، ص 25

الحقد أو الخذلان ، ثم أشار في مقدمة كتابه إلى الإفتراضات التي وضعها لتحليله النفسي للقضية يقول :" أقدم نقطتين للتحليل :أولا أفترض أن العوائق الرئيسة للإيمان بالإله ليست عقلانية و لكن يمكن أن يطلق عليها بالمعنى العام أنها نفسية ..ثانيا لا يزال لكل منا حرية الإختيار في قبول أو رفض الإله رغم الصعوبات المختلفة ...و رغم أن المسألة في نهاية المطاف تتبع الإرادة فمن الممكن مع ذلك التحقيق في العوامل النفسية التي تقود أحدهم إلى الكفر و تجعل الطريق إلى الله صعبا "[1] أي أنه يستمر في التأكيد على الجذور النفسية لمشكلة الإلحاد و أن معظمها لا علاقة له بالعقل و المنطق و التقدم العلمي بل بالظروف النفسية للأفراد التي عانوها في طفولتهم المبكرة ، مع ضرورة التأكيد على الحرية الشخصية في اختيار الإيمان أو الإلحاد (قوة العقل و الحق في الإرادة الحرة) مما يدعو و يشجع على التمرد على كل السلطات و الثوابت في الفترة المعاصرة و في كل الفترات ، و التي بدأت و انتهت بالتمرد على سلطة الإله و إنكارها ثم تجاوزها وصولا إلى السلطة الأبوية في الأسرة المعاصرة ، يقول عن المجتمعات الغربية المعاصرة :" لا شيء أكثر نمطية في العالم الحديث و خصوصا في الحياة العامة من افتراض الإلحاد و تعميق نفي الخالق من الخطاب العام تماما حتى أنه يحظر علينا قانونيا أن نشير إلى الخالق ...و يُعد نبذ الخالق في مدارسنا مجرد مثال بسيط لانتصار الإلحاد "[2]، ثم إنه قام بدراسة الحياة الشخصية لأكثر الشخصيات المعروفة تعصبا و إنكارا للإله و هم الملحدون أصحاب (الإلحاد الحاد) و استنتج من دراسته أنهم عاشوا و عانوا من عقدة (الأب المعيب) أي أنهم كانوا رافضين لسلطة الأب بسبب من الأسباب المؤلمة التي كان يحدثها وجوده معهم أو فقدانه أيضا ، فقد رأى أن منبع الدين هو الإحتياجات الطفولية للبشر إلى الحامي و المنقذ المحب و لكن الواقع الذي عاشوه أثبت أنه يمكن العيش دون أب من الأساس خاصة إن كان هذا الأب لا يطابق التصور الطفولي الموجود في لا شعورنا (لا يحمي –لا ينقذ –ليس عطوفا –ليس قويا – غائب تماما) ، و لذلك تعتبر تلك الإحتياجات التي أدت للتدين إحتياجات لاعقلانية لدى المتدين فيما يُعتبر الملحد حكيما و عقلانيا لأنه لا يعرفها ، يقول فيتز في محاولة لقلب الصورة أو تطبيق فرضيته هذه على أقوال المعلم فرويد :" إن الدافع المهيمن في عقدة اوديب هو كراهية الأب (الإله) و الرغبة في عدم وجوده و بالتالي فإن التعبير الطبيعي للحافز الأوديبي سيكون عبارة عن رغبات قوية و غير واعية في عدم وجود الإله و ضمن الهيكل الفرويدي سيكون الإلحاد عبارة عن (وهم) ناجم عن الرغبة الأوديبية في قتل الأب (الإله) و الحلول محله ...و من المؤكد أنه ليس من الصعب إدراك الطابع الأوديبي في الكثير من الإلحاد المعاصر و في مذهب الشك ، أولئك الذين يعيشون حياة تتميز بالفوضى الجنسية و الإلحاد "[3] ، بعبارة أخرى إن كان الإيمان هو (وهم) ناتج عن الرغبة الأوديبية في وجود الأب و استمرار وجوده و سلطته ، فإن الإلحاد هو نتاج ذات الرغبة لكن بشكل معاكس فالإلأحاد المعاصر قتل

[1] فيتز : المرجع نفسه ، ص 26

[2] بول فيتز : المرجع نفسه ، ص15

[3] فيتز : المرجع السابق ،ص 36

الإله و حل محله أين أصبح الإنسان هو المصدر المطلق للخير و القوة في الكون تمجده الفلسفات و تحتفي بقدراته بشكل يشبه كثيرا الطريقة التي كانت الاديان تمجد فيها الإله و من خلال عقدة اوديب يمكننا ان نفهم سيكولوجية الكفر و جحود الإله كما فهمنا سيكولوجية الإيمان و تمجيد الإله من قبل ، و في كلتا الحالتين فعلم النفس التحليلي يرى أن الإيمان و الإلحاد كلاهما (وهم) ، و قد فصل في هذه الأسباب خلال كتابه كله مركزا أكثر على الحالة النفسية و الصدمات التي عاشها الملحدون و المتعلقة أساسا بالأب الذي هو صورة الإله دائما في علم النفس ؛ فالبحث النفسي في دوافع التدين داخل النفس البشرية يصور أن الإيمان حادث و انحراف بينما الإلحاد هو الأصل و أن الأسباب الحقيقية للإلحاد ليست فكرية (عقلية) و لا علمية و لكنها اجتماعية و نفسية ؛ و نعني بها الظروف التي مر بها الإنسان في المراحل الأولى لنشأته داخل الأسرة و في علاقته بالوالدين و خاصة الأب بالتحديد ، و يوافق الدكتور فيتز و يستمر في منهج الإسقاط الذي مارسه فرويد من قبل حينما درس شخصيات مشهورة لتبرير نظرياته التي رأى فيها (أن الإيمان بالله تعبير عن احتياج طفولي للأب الحامي و المنقذ و المسيطر أيضا و المربوطة كلها بعقدة أوديب) و لكن فيتز كان أكثر تحديدا إذ حدد بالضبط نوعية الأب الذي يؤثر على نفسية الطفل فيصبح مستقبلا ملحدا و منكرا لوجود الإله ؛ أين استبدل أو قلص من حجم (فرضية عقدة أوديب) إلى ما سماه (فرضية الأب المعيب) كسبب نفسي عميق للإلحاد عند الطفل و هو يقول أن نظريته هذه أكثر عمقا من (عقدة أوديب) يقول :" كلما أصيب الطفل أو الشاب بخيبة أمل بوالده الدنيوي أو فقد احترامه له أصبح مستحيلا عليه الإيمان بالأب السماوي ..و يمكننا القول أن خيبة أمل الملحد من والده و استياؤه منه تبرران رفضه لوجود الله " [1] و هناك الكثير من الطرق التي تجعل الأب يفقد سلطته أو يخيب أمل ولده به ؛ حيث يمكن أن يكون غائبا عن طريق الموت أو الهجرة (**Lost father**) و يمكن أن يكون حاضرا لكنه ضعيف لا يستحق الإحترام (**Weak father**) أو يكون موجودا لكنه مؤذ جسديا أو جنسيا أو نفسيا و هذه المحددات جميعا للإلحاد سماها فيتز (فرضية الأب المعيب **Fatherless Hypothesis**) ، و على أساس هذا التقسيم ميز بين الملحدين [2]و المؤمنين [3]حسب نوعية الأب المعيب الذي عاشوا في كنفه ؛ الآباء الميتون عند كل من (فريديريك نتشه ، بيرتراند راسل ، آرثر شوبنهاور) ، و الآباء الضعاف مسيؤوا المعاملة لأبنائهم مثل (توماس هوبز ، فولتير ، لودفيغ فيورباخ و سيغموند فرويد) ، في مقابل المؤمنين الذين غالبا ما عاشوا في كنف آباء تربطهم بهم علاقة جيدة أمثال (بليز باسكال ، فريديريك شلايرماخر ، سورين كيركغارد ، مارتن بوبر) ، كما قسّم الإلحاد أيضا إلى (إلحاد حاد) قوي ينتج بدرجة رئيسة من الحاجات النفسية الغريبة لأنصاره و إلحاد سطحي كحالته هو شخصيا .

---

[1] بول فيتز : المرجع السابق ، ص 40

[2] فيتز : المرجع نفسه ، ص 59- 118

[3] فيتز : المرجع نفسه ، ص 125- 164

و قد قسّم دوافع كل هؤلاء للإلحاد إلى عدة أنواع حسب عدة اعتبارات أهمها تأثير الفترة التاريخية التي عاشوا فيها أو تأثيرات شخصية مثل الذكاء و الطموح أو الإستياء و الحزن ، ليقدّم فرضية سيكولوجية نهائية للإلحاد و أسبابه النفسية العميقة حسب رأيه يقول :" و تفسيري النهائي للملحدين هو أن إلحادهم ما هو إلا نتاج و ثمرة : الحقبة التاريخية ، الصدمات الشخصية و ما رافقها من فقدان الإحساس بالأمان بسبب (الأب المعيب)أو في كثير من الأحيان العجز الشخصي (الخصائص العقلية للتوحد) و الذكاء فوق المتوسط ، الطموح و الحقد و احيانا الحسد و اخيرا و ليس أقل قيمة حرية اختيارهم الخاصة ، و بطبيعة الحال كان تركيزي منصبا على الآباء المعيبين و فقدان الشعور بالأمان المرافق لموقف من الإستهتار و لدرجة أقل الحساسية الشخصية كما في التوحد "[1] ، يختتم الباحث كتابه بدعوة صادقة للبحث و التعمق في الأسباب النفسية للإلحاد خاصة أنها الأهم بالنسبة إليه بسبب نشوء الطفل في ظلها مما يسهل عليه مستقبلا اختيار طريق الإلحاد يقول :" إن الكثير من الأسباب التي تكمن وراء رفض الكثيرين لوجود الله أسباب شخصية جدا ؛ فإذا كان لدى أحد الرغبة الصادقة في التوصل إلى تفسير سلوك مثل هؤلاء الملحدين فلابد له من دراسة نفسيتهم المستبطنة و لو بطريقة غير مباشرة ، و بصرف النظر عن الأسباب الشائعة و السطحية فمن المحتمل أن يكون كثير من غير المؤمنين الكبار يحملون ذكريات أليمة كانت وراء تقبلهم الإلحاد ، لذا يجب أن يأخذ المؤمنون هذه الجراحات الداخلية بعين الإعتبار و يحاولوا معالجتها "[2] يبدو ان الباحث غير مقتنع تماما بكون نوعية الأب التي عاش الطفل في كنفها سببا كافيا للتخلي عن الإيمان بالله و الدخول في عالم الإلحاد المظلم فنجده يدعو المؤمنين بالله غلى معالجة جراحات الطفولة التي عانى منها هؤلاء الملحدون ليعيدوهم مجددا غلى حضيرة الإيمان و الأديان .

4. **الخاتمة و التوصيات** : من خلال كل ما سبق يمكننا الوصول إلى النتائج التالية و إلى صياغة بعض التوصيات لدراسات مستقبلة في سيكولوجية التدين و الإلحاد ، و هي :

- تحول الدين من موضوع غامض و مقدس إلى موضوع علمي قابل للدراسة و البحث و ظاهرة إنسانية مهد الطريق لنزع القداسة عنه في الفترة المعاصرة و كان هذا بسبب تدخل العلوم الإنسانية في موضوع الدين و اعتباره ظاهرة إنسانية متعلقة بالإنسان و قابلة للبحث و التقصي ، مما أدى إلى توفير نظريات علمية لتفسير نشأته و ظهوره و إثبات علاقة الجهل و البدائية بظهوره مما يعني أن انتشار العلم يجب أن يكون سببا قويا و مرافقا لتراجع الدين ثم اختفائه في الفترة المعاصرة .

[1] بول فيتز : نفسية الالحاد ،المرجع نفسه ، ص 250

[2] بول فيتز : المرجع نفسه ، ص 251

- تقسيم الدين إلى مكونات رئيسة و ثانوية يمكن تفسيرها بسهولة ثم اسقاط النتائج على الأديان جميعا و قد سهل هذا تقليص و تقزيم موضوع الدين في العقل البشري و تحويله من دستور و ناموس إلهي مقدس للحياة البشرية على الأرض و منارة تهديها السبيل للحياة الآخرة إلى ظاهرة إنسانية يمكن أن تنمو كما يمكن أن تتراجع و تختفي من حياة الناس بشكل عادي و مقبول عقليا و نفسيّا .
- إن كانت النظريات المفسرة لنشأة الأديان تتفق على أن الأديان لا تحترم الإنسان و مكانته في الكون و لا تحترم العقل البشري و قوته في الوصول إلى الحقائق بمفرده يحق لنا التساؤل هنا : هل الإلحاد –بما هو رفض و انكار لوجود الخالق و المعبود الغيبي – يقوم على قواعد منطقية تحترم العقل البشري ؟ أم أنه هو الآخر فيه من قلة الإحترام للعقل و للإنسان ذاته الشيء الكثير .
- ربما يكون الملحدون ذوو شخصيات مضطربة و مريضة و فريدة جعلتهم يختارون طريق الإلحاد و لكن هذا ليس سببا كافيا ليبرز الإلحاد بكل تلك القوة و الثقة خلال الفترة المعاصرة لو لم تكن وراءه قوى اجتماعية و اقتصادية و ثقافية تدعمه و تشجعه على الظهور و الإنتشار، و رغم ذلك لايزال يحظى بالرفض و المراجعة إلى اليوم و مهما حاولت وسائل الإعلام و غيرها من القوى تصويره على أنه الحالة الطبيعية للفكر البشري فلن يكون كذلك .
- حسب نظرية التحليل النفسي لفرويد يكون الإيمان بالإله منبعه الوهم كمرض نفسي عميق ناتج عن الصراع الداخلي بين الرغبات المكبوتة و القوى الخارجية التي تمنع تحققها و أهمها (الأب المتسلط) ، فكذلك تكون ذات الأوهام منبعا و دافعا قويا للإلحاد و رفض الإله (الأب ذاته) حسب منهج الإسقاط ذاته ،و لكن لا يجب أن نأخذ نظريات و آراء فرويد حول منشأ الدين كمسلمات نبني عليها نظريات جديدة فقد تعرضت للنقد و التقويض في زمنه و بعده رغم احتفاظها ببعض رونقها المتعلق خاصة باللاشعور و دوره في حياة الفرد .
- بنى بول فيتز نظريته حول (الأب المعيب) على نظرية (عقدة اوديب) لفرويد مع مزيد من التدقيق و البحث عن الانساق المتكررة في حياة الملحدين و لكنه هو ذاته اقر ان النتائج التي توصل إليها ليست مسلمات و لا تستقيم على كل البشر و ليست ذات الأسباب تؤدي إلى ذات النتائج بالضرورة .
- لا يمكن ان نبرر للإلحاد و هو الإنكار و الجحود السافر لوجود الله و مكانته في الكون بجراحات و آلام عانى منها الفرد في طفولته كان قد سببها له أبوه لسبب من الأسباب فلا احد يختار واليه و لا البيئة التي يولد فيها و لا علاقاته إلا في المراحل المتقدمة من عمره لذلك يكون إرجاع أسباب هذا الإعتقاد الخطير إلى المراحل المبكرة اللاواعية من حياة الطفل عبث فكري .
- لا تزال قضية (مشكلة الشر) و وجود الألم في الحياة الإنسانية صخرة الإلحاد المعاصر الكبرى التي كثيرا ما ترجع و تتوقف لديها كل الدراسات و الأبحاث لسبر أغوار الإلحاد النفسية و العاطفية العميقة ؛ فالتجارب المؤلمة لبعض

الشخصيات جعلتهم و في خضم غضبهم و عجزهم أمامها ينكرون الإله و يرفضون وجوده لأنه لم يمنع عنهم هذا الألم و يحفظ قلوبهم من الكسر و لم يثبت لهم حبه و عطفه و حمايته لذلك يردون عليه ذلك الصمت أمام آلامهم بالرفض و الجحود ،و مع أن هذه القضية محسومة الآراء فيها على الساحة الأكاديمية إلا أن الأوساط العامة لا تزال غير مقتنعة تماما بها إلى اليوم و لم تستطع الجمع بين وجود الله و وجود الشر في العالم في آن واحد ؛ فوجود الشر لا يعني أن الله غير موجود و وجود الله لا يعني بالضرورة عدم وجود الشر فالقضيتان منفصلتان و لا يربطهما رابط منطقي .

5. المصادر و المراجع :

- دانيال بالز : الدين و الشخصية :سيغموند فرويد ، ترجمة :محمد محمود ، مجلة العقلاني 2 ، عدد2 يناير 2015
- سيغموند فرويد : الطوطم و التابو، ترجمة جورج طرابيشي ، ط1 (دار مدارك للنشر ، بيروت ، 2015)
- سيغموند فرويد : مستقبل الوهم ،ترجمة :جورج طرابيشي ، ط1(دار مدارك للنشر ، بيروت ،2015)
- سيغموند فرويد : قلق في الحضارة ،ترجمة : جورج طرابيشي ، ط1(دار مدارك للنشر ، بيروت ، 2015)
- حلمي يعقوب : رحلة إلى قلب الإلحاد ، د ط (كنيسة القديسين مار مرقس و البابا بطرس – الاسكندرية– 2011) ، ج1 =ج2 .

- رمسيس عوض : الالحاد في الغرب ، ط1 (مؤسسة النتشار العربي ،بيروت ،لبنان ، 1997)
- أمارناث امارسينغام : الدين و إلحاد العصر ، ترجمة : شيرين حداد ،ط1 (شركة المطبوعات للتوزيع و النشر – بيروت –لبنان -2019) .
- محمد هادي طلعتي : الهيومانية ؛ دراسة تحليلية نقدية للأسس و الجذور ،تعريب : حسن علي مطر ،، سلسلة مصطلحات معاصرة (43)، ط1 (النجف –العراق –المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية – 2022)
- محمد عبد الفتاح المهدي : سيكولوجية الدين و التدين ،سلسلة الدراسات التربوية و النفسية ،ط1 (مطبعة فجر الاسلام الاسكندرية – الناشر البيطاش سنتر للنشر و التوزيع ، 2002) .
- رمسيس عوض : ملحدون محدثون و معاصرون ،ط1(مؤسسة الإنتشار العربي – بيروت –لبنان- 1998)،
- هيثم علي طلعت سرور : كهنة الإلحاد الجديد ،موقع (**http://laelhad.com**)
- بول فيتز : نفسية الإلحاد ؛ إيمان فاقد الأب ، ترجمة : مركز دلائل ، ط2 (دار وقف دلائل للنشر – الرياض – المملكة السعودية – 2013) **(Paul .C .Vitz : Faith of the Fatherless ; Psychology of Atheism,1999)**